المنهج النبوي في التربية والتعليم (3/10)

نشر في جريدة أخبار الخليج بتاريخ: 29 مايو 2017

بقلم: الدكتور زكريا خنجي

ماذا علمهم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ؟

في المجتمع العربي الذي وصفناه سابقًا، ذلك المجتمع الذي بلغ ذروة مرحلة الفساد، وبداية مرحلة الانحطاط والسقوط نحو الهاوية، في ذلك المجتمع وُلد محمد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، فكان مطلوب منه ومن خلال العقيدة والرسالة البيضاء النقية التي يحملها من اللّه سبحانه وتعالى أن يلملم شمل هذه الأمة ويبعثها من جديد وينهض بها من ذلك الحضيض إلى تلك القمة المنشود لتقود العالم إلى يوم القيامة، لم تكن المهمة سهلة أبدًا.

فخلال 23 سنة من تاريخه صلى اللّه عليه وسلم – من البعثة النبوية إلى وفاته صلى اللّه عليه وسلم – قام بتعليمهم كل شيء بدء بالعقيدة والإيمان باللّه إلى أخلاقيات الطريق وتناول الطعام، فلم يترك شاردة ولا واردة إلا علمهم إياها. فحّول المعاني والقضايا غير الواضحة أو المبهمة على عقول أفراد المجتمع إلى مفاهيم وذلك عبر طرح الأسئلة والعصف الذهني والتحفيز وأساليب تعليمية كثيرة، ومن ثم أعادة صياغة كل تلك المفاهيم لتتحول إلى مهارات حياتية وفكرية ووجدانية وعقائدية، وبعد

كل ذلك تحولت تلك المهارات من تلقاء ذاتها في نفوس الصحابة رضوان اللّه عليهم إلى تبني مواقف واضحة جلية، وتاريخ الصحابة رضي اللّه عنهم سواء في عصر النبوية أو ما بعد ذلك شهد الكثير من تلك المواقف التي كان لها تأثير إيجابي على المجتمع والدولة المسلمة.

ففي غزوة بدر الكبرى – مثلاً – طلب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم مشورة الصحابة في الإقدام أو الإحجام بعد أن هربت عير قريش، تقول كتب السيرة:

قام أبو بكر الصديق رضى اللّه عنه فقال وأحسن، ثم قام عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول اللّه، امض لما أمرك اللّه فنحن معك، واللّه لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى (فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ)، ولكن أذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فو الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد – وهو موضع في أقصى اليمن أو مدينة الحبشة – لجالدنا معك من دونه حتى نبلغه، فقال له رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم خيرًا ودعا له.

ولفت نظر رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أن هؤلاء جميعًا من المهاجرين، وهو إنما يريد استجلاء موقف الأنصار، فقال مرة أخرى: "أشيروا علي أيها الناس".

ففهمت الأنصار أنه يعنيهم، فنهض سعد بن معاذ صاحب رايتهم وقال: يا رسول اللّه لكأنك تريدنا ؟ قال: أجل، فقال سعد: قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك

على ذلك عهودنا ومواثيقنا علي السمع والطاعة، فأمض يا رسول اللّه لما أردت فنحن معك، فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبر في الحرب، صدق عند اللقاء، لعل اللّه يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا علي بركة اللّه.

وقس على ذلك الكثير، والتاريخ يشهد، وليس في مشاهد المعارك والحروب فحسب وإنما حتى في المواقف الإنسانية والأخلاقية والاقتصادية والسياسية والتكافل الاجتماعي، وكل مظاهر الحياة.

ولنا لقاء في الغد،،